

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَلْمُ سَيِّدُ الْأَخْلَاقِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، جَعَلَ الْحَلْمَ وَالْعَفْوَ وَالصَّفْحَ مِنْ صَفَاتِ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَهْدِيهُ، وَنُؤْمِنُ بِهِ وَنَتَوَكَّلُ عَلَيْهِ، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلٌّ لَّهُ، وَمَنْ يُضْلِلُ فَلَا هَادِي لَّهُ، وَنَشَهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَنَشَهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَرْسَلَهُ اللَّهُ حَلِيمًا كَرِيمًا، وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَوْفًا رَّحِيمًا، وَعَلَى اللَّهِ وَصَاحْبِهِ أَجْمَعِينَ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا عِبَادَ اللَّهِ:

إِنَّ الْإِنْسَانَ وَهُوَ يَتَقَلَّبُ فِي جَنَابَاتِ هَذِهِ الْحَيَاةِ، فِي صَبَاحِهِ وَمَسَائِهِ، وَمَنْشَطِهِ وَمَكْرَهِهِ، وَفِي أَعْمَالِهِ، وَعِنْدَ أَهْلِهِ وَجِيرَانِهِ وَإِخْرَانِهِ، رُبَّمَا مَرَّتْ بِهِ الْمَوَاقِفُ الْعَصِيبَةُ الَّتِي تُؤَدِّيُ بِهِ إِلَى الْغَضَبِ، وَلَوْ تَابَعَهُ لَأَدَى بِهِ إِلَى الْمَهَالِكِ، فَيَحْتَاجُ إِلَى أَنْ يَمْلِكَ نَفْسَهُ وَيَتَرَيَّأَ بِتَوْبَةِ الْحَلْمِ حَتَّى يَتَسَعَ عَفْوُهُ لِكِبِيرِ وَصَغِيرِ، وَالرَّفِيعِ وَالوَاضِيعِ، وَالْمُتَعَلِّمِ وَالْجَاهِلِ، وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لِمَا وَصَفَ عِبَادَهُ الْمُتَقِينَ الَّذِينَ يُبَوِّئُهُمْ جَنَّةً عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ؛ ذَكَرَ مِنْ صِفَاتِهِمْ: ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾^(١)، فَهُمْ يَكْظِمُونَ غَيْظَهُمْ وَهُمْ قَادِرُونَ عَلَى إِنْفَاذِهِ، وَيَعْفُونَ عَنِ النَّاسِ وَهُمْ قَادِرُونَ عَلَى الانتِقامِ، وَتِلْكَ خَصَالُ الْمُحْسِنِينَ، الَّذِينَ اسْتَوْجَبُوا مَحَبَّةَ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَقَدْ أَوْصَى اللَّهُ نَبِيُّهُ ﷺ بِالْعَفْوِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿خُذُ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَنِحِلِينَ﴾^(٢)، وَلَمَّا نَزَّلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ قَالَ ﷺ: ((مَا هَذِهِ يَا

(١) سورة آل عمران / ١٣٤ .

(٢) سورة الأعراف / ١٩٩ .

جِبْرِيلُ؟ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَصِلَ مَنْ قَطَعَكَ، وَتَعْطِيَ مَنْ حَرَمَكَ، وَتَعْفُوَ عَمَّا ظَلَمَكَ)، وَكَذَلِكَ بَيْنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ الْقَوِيَّ حَقًا هُوَ مَنْ قَاتَمَ الْغَضَبَ وَدَفَعَهُ، وَلَيْسَ الشَّدِيدُ هُوَ الْغَلِيظُ الَّذِي يَصْرَعُ الْآخَرِينَ، يَقُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ((لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرُعَةِ، إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ))، وَعَنِّدَمَا جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَوْصَنِي، قَالَ لَهُ: ((لَا تَغْضِبْ))، فَكَرَرَ عَلَيْهِ الرَّجُلُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَوْصَنِي، قَالَ لَهُ: ((لَا تَغْضِبْ))، فَكَرَرَ الرَّجُلُ طَلَبَةً ثَلَاثَةً: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَوْصَنِي، قَالَ: ((لَا تَغْضِبْ))، وَقَدْ كَانَ يُمْكِنُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يُوصِيَهُ بِوَصَائِيَّا عَدَّةً، وَالرَّجُلُ يَسْتَرِيدُهُ مِنَ الْوَصَائِيَّا، وَلَكِنَّ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يَزِيدُهُ إِلَّا أَنْ يُحَذِّرُهُ مِنَ الْغَضَبِ، وَذَلِكَ لِأَنَّ الْغَضَبَ مِنْ نَزَغَاتِ الشَّيْطَانِ، يَدْفَعُهُ إِلَى أَنْ يَتَجاوزَ حُدُودَ اللَّهِ، وَأَنْ يَظْلِمَ عِبَادَ اللَّهِ، وَأَنْ يَقْتَرِفَ مَا حَرَمَ اللَّهُ، وَلَوْ مَلَكَ نَفْسَهُ عَنِ الْغَضَبِ لَصَلَحَتْ سَائِرُ أُمُورِهِ.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ:

إِنَّ الْحَلْمَ سَيِّدُ الْأَخْلَاقِ، فَمَا تَحْلَى بِهَذَا الْخُلُقِ إِنْسَانٌ إِلَّا زَانَهُ، وَمَا حُرِمَ مِنْهُ أَحَدٌ إِلَّا شَانَهُ، وَلَأَجْلِلَ أَنْ يَكُونَ الْحَلْمُ وَالْعَفْوُ فِي الإِنْسَانِ سَجِيَّةً لَا بُدَّ أَنْ يَأْخُذَ نَفْسَهُ بِالدُّرْبَةِ وَالْمِرَانِ عَلَى كَظْمِ الْغَيْظِ وَالصَّفْحِ عَنْ أَخْطَاءِ الْآخَرِينَ، فَقَدْ قِيلَ: "إِنَّمَا الْحَلْمُ بِالْتَّحَلُّ"، وَالنَّفْسُ الْبَشَرِيَّةُ مُتَقْلِبَةٌ؛ فَلَا بُدَّ مِنْ تَرْكِيَّتِهَا بِمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ، وَفِي مُقدَّمَةِ الْأَخْلَاقِ الصَّفْحُ وَالْحَلْمُ وَالْعَفْوُ، أَمَّا إِذَا تَفَلَّتْ هَذِهِ النَّفْسُ فَإِنَّهَا تُؤْدِي بِصَاحِبِهَا إِلَى التَّهْوُرِ وَالْطَّيْشِ وَالظُّلْمِ. إِنَّ الْحَيَاةَ فِي تَقْلُبِ أَهْلِهَا تُرِيكَ ضُرُوبًا مِنَ التَّصَرُّفَاتِ وَالْمَوَاقِفِ الَّتِي قَدْ تَدْفَعُ إِلَى الْغَضَبِ وَالْأَنْفَعَالِ، فَإِذَا لَمْ يُوَطِّنِ الْمُؤْمِنُ نَفْسَهُ عَلَى الْحَلْمِ وَالْعَفْوِ لَمْ يَسْتَطِعْ اتِّخَادَ المَوْقِفِ الصَّحِيحِ مِنْ تِلْكَ الْمَوَاقِفِ، وَلَرُبَّمَا صَبَرَ وَغَفَرَ فِي مَوْقِفٍ أَوْ مَوْقِفَيْنِ، وَلَكِنْ مَعَ تَكْرَارِ تِلْكَ الْمَوَاقِفِ الَّتِي تَسْتَثِيرُهُ وَتُغَضِّبُهُ رُبَّمَا خَرَجَ عَنْ طَوْرِهِ وَارْتَكَبَ الْحَمَاقَاتِ، لَذَلِكَ كَانَ عَلَيْهِ أَنْ يُوَطِّنَ نَفْسَهُ عَلَى ضُرُوبِ الشَّدَائِدِ، حَتَّى يَصِيرَ الْحَلْمُ وَالْعَفْوُ لَهُ سَجِيَّةً وَخُلُقًا وَنِبْرَاسًا يُضِيءُ حَيَاتَهُ كُلَّهَا. إِنَّ الْمُسْلِمَ

بِحَاجَةٍ إِلَى أَنْ يَعْتَصِمَ بِالْحَلْمِ فِي مُعْتَرِكِ حَيَاتِهِ الْيَوْمِيَّةِ، فَمَتَّلًا عَنْ سَيَارَتِهِ فِي خَضْمِ الزَّحَامِ قَدْ تَضِيقُ أَخْلَاقُ بَعْضِ النَّاسِ؛ فَهَذَا يُزَاحِمُ، وَذَلِكَ يَغْضَبُ، وَثَالِثٌ يَنْفَعُ، لَأَنَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَصِلَ إِلَى عَمَلِهِ أَوْ مَقْصِدِهِ فِي أَسْرَاعٍ وَقْتٍ، وَرَبِّمَا رَفَعَ صَوْتَهُ أَوْ تَكَلَّمَ بِمَا لَا يَلِيقُ، وَهُنَا يَأْتِي دَوْرُ الْحَلْمِ وَالْأَنَاءِ، لِيَسْتَلِّ مِنَ النَّفْسِ الْبَشَرِيَّةِ نَزَغَاتِ الْهَوَى وَطَيْشَ الْأَنْفَعَالِ وَالْخِصَامِ. كَذَلِكَ الْمَرْءُ فِي وَظِيفَتِهِ، عَنْدَمَا تَرِيدُ عَلَيْهِ أَعْمَالَهُ، وَتُرْهِقُهُ مَسْؤُلِيَّاتُهُ، فَرَبِّمَا دَخَلَ فِي شَجَارٍ مَعَ زُمَلَائِهِ، أَوْ حَصَلَ سُوءُ فَهْمٍ مِنْ أَحَدِهِمْ، أَوْ لَمْ يَئِلِ التَّكْرِيمَ الَّذِي يَسْتَحْقُهُ عَلَى إِخْلَاصِهِ وَتَقَانِيهِ، فَهُنَا لَا بُدَّ أَنْ يَتَحَلَّ الْمُؤْمِنُ بِالْعَفْوِ وَالصَّفْحِ، وَأَنْ يَتَسَعَ صَدْرُهُ لِجَمِيعِ ذَلِكَ، وَإِلَّا مَا سَارَ نِظَامُ الْعَمَلِ، وَحَلَّ الْخِصَامُ مَحْلَ الْوَئَامِ، وَوَقَعَ التَّقَاطُعُ مَكَانَ التَّوَاصُلِ، فَعَلَى كُلِّ وَاحِدٍ مِنَ أَنْ يُوَاطِّنَ نَفْسَهُ عَلَى الْحَلْمِ وَالْحِكْمَةِ، وَالرِّفْقِ وَالْمُعَامَلَةِ الْحَسَنَةِ.

أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ:

إِنَّ الْمُسْلِمَ الْحَقَّ هُوَ الَّذِي يَلْتَرُمُ الْأَخْلَاقَ وَالْعَفْوَ، وَيَبْتَدُعُ عَنِ الانتِقامِ وَالظُّلْمِ، وَهَذِهِ هِيَ أَخْلَاقُ الْأَنْبِيَاءِ - عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ -، فَهَذَا يُوسُفُ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - يَعْفُوُ عَنِ إِخْوَتِهِ وَقَدْ فَعَلُوا فِيهِ مِنَ الْكِيدِ وَالْإِبْعَادِ وَالْأَذَى الشَّيْءِ الْكَثِيرَ، وَحَسَدُوهُ وَتَآمَرُوا عَلَى قَتْلِهِ، وَمَعَ ذَلِكَ قَالَ لَهُمْ: ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّحِيمِينَ﴾^(١)، وَالَّذِي لَحِقَ يَعْقُوبَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - مِنْهُمْ لَيْسَ بِأَقْلَمَ مِمَّا لَحِقَ يُوسُفَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ -، وَمَعَ ذَلِكَ لَمَّا طَلَّبُوا مِنْهُ الصَّفْحَ وَالْعَفْوَ قَائِلِينَ: ﴿يَأَبَانَا أَسْتَغْفِرُ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ﴾^(٢)؛ رَدَّ عَلَيْهِمْ بِقَوْلِهِ: ﴿سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾^(٣)، إِنَّهَا الْقُلُوبُ الطَّاهِرَةُ الَّتِي لَا تَعْرِفُ لِلانتِقامِ مَوْضِعًا،

(١) سورة يوسف / ٩٢ .

(٢) سورة يوسف / ٩٧ .

(٣) سورة يوسف / ٩٨ .

ولَكُنَّهَا حَالَفَتِ الْحَلْمُ وَالْأَنَاءَ وَالْعَفْوُ وَالصَّفْحُ، وَكَذَلِكَ لَقِيَ سَائِرُ أَنْبِيَاءِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ مِنْ أَذَى أَقْوَامِهِمْ، فَلَمْ يَضِيقُوا ذَرْعًا بِصُدُودِهِمْ وَعَنَادِهِمْ، بَلْ صَفَحُوا وَحَلُمُوا، وَانْظَرُوا رَحْمَكُمُ اللَّهُ - إِلَى عُتُوٍّ وَالِدِ سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ - عَلَيْهِ السَّلَامُ -، إِذْ يَقُولُ لِوَلَدِهِ بَعْدَ أَنْ نَصَحَهُ بِكُلِّ رِفْقٍ وَأَدَبٍ: «أَرَاغَبُ أَنْتَ عَنْ ءَالِهَتِي يَتَبَرَّهِمُ لَّمَّا تَنَاهَ لِأَرْجُمنَكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا»^(١)، فَيَرْدُ عَلَيْهِ إِبْرَاهِيمُ - عَلَيْهِ السَّلَامُ -: «سَلَمٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّ إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا»^(٢)، وَسَيِّدُ الْخَلْقِ مُحَمَّدٌ^{صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ} دَعَاهُ رَبُّهُ إِلَى الصَّفْحِ الْجَمِيلِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: «فَاصْفَحْ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ»^(٣)، فَجَسَدَ هَذَا الْخُلُقُ الْعَظِيمِ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ السَّلَامُ - فِي مَوَاقِفَ كَثِيرَةٍ، كَمَوْقِفِهِ فِي فَتْحِ مَكَّةَ، إِذْ قَالَ لِقُرَيْشٍ الَّتِي أَخْرَجَتْهُ مِنْ دِيَارِهِ، وَآذَتْهُ هُوَ وَأَصْحَابُهُ، وَنَاصَبَتْهُ الْعَدَاءَ، وَدَبَرَتْ لَهُ الْمَكَابِدَ: ((مَا تَنْظُنُونَ أَنِّي فَاعِلٌ بِكُمْ؟)) قَالُوا: أَخْ كَرِيمٌ وَابْنُ أَخٍ كَرِيمٌ، فَقَالَ^{صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ}: ((لَا أَقُولُ إِلَّا كَمَا قَالَ أَخِي يُوسُفُ: لَا تُتَرِّبِّ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ، اذْهَبُوا فَأَنْتُمُ الْطَّلَقاءُ))، هَذِهِ هِيَ عَظَمَةُ الْحَلْمِ وَالصَّفْحِ، وَفِي يَوْمٍ أُحُدٍ شُجَّ^{صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ} وَلَحْقَتُهُ جِرَاحَاتٌ، وَمَعَ ذَلِكَ كَانَ قَلْبُهُ الْكَبِيرُ يُرَدِّدُ: ((اللَّهُمَّ اهْدِ قَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ))، ثُمَّ كَانَتْ وَصَایَاهُ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - لَأَمَّتَهُ بِالْحَلْمِ، يَقُولُ^{صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ}: ((مَنْ كَظَمَ غَيْظًا وَهُوَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنْفِذَهُ دَعَاهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى رُؤُوسِ الْخَلَائقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُخِيرَهُ مِنَ الْحُورِ مَا شَاءَ))، وَقَالَ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ -: ((مَا مِنْ جُرْعَةٍ أَعْظَمُ عِنْ اللَّهِ أَجْرًا مِنْ جُرْعَةٍ غَيْظٍ كَظَمَهَا عَبْدٌ ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ تَعَالَى)).

عِبَادُ اللَّهِ:

إِنَّ مِنْ أَعْظَمِ مَوَاطِنِ الْحَلْمِ وَالْعَفْوِ أَجْرًا وَمَتُوبَةً، عِنْدَمَا يَقْدِرُ الْمُسْلِمُ عَلَى الْإِنْتِقَامِ

(١) سورة مریم / ٤٦ .

(٢) سورة مریم / ٤٧ .

(٣) سورة الحجر / ٨٥ .

والعقوبة، فإذا رأى غيظه بالحلم وأتبعه بالعفو وكمّله بالإحسان فتلك هي المراتب العلية، يقول الله عز وجل: ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾^(١)، فتلك مراتب ثلات: كظم الغيظ أولاً، ثم العفو والصفح الجميل، ثم الإحسان إلى المسيء، لذلك بين الله تعالى جزاءهم الأوفي بقوله: ﴿أُولَئِكَ جَرَأُوهُمْ مَغْفِرَةً مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّتُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَرُ خَلِيلِكَ فِيهَا وَنَعْمَ أَجْرُ الْعَمَلِينَ﴾^(٢)، وفي موضع آخر يقول تبارك وتعالى في وصف المؤمنين: ﴿وَالَّذِينَ يَحْبِبُونَ كَثِيرًا إِلَّا شَدَّادُ الْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا عَصَبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ﴾^(٣)، وقد يظن بعض الناس أن العفو عن ظلمه ضعف وخوار، في حين يبين سبحانه لنا أن العفو هو قمة السمو والقدرة والقوّة؛ لأنّه عفا وهو قادر على أن ينتقم لنفسه، يقول تعالى: ﴿وَلَمَنْ صَرَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لِمَنْ عَزَمَ الْأُمُورَ﴾^(٤)، وفي غزوة أحد قتل سيدنا حمزة - رضي الله عنه - عم رسول الله عليه السلام، ولم يكتف المشركون بقتله بل مثّلوا بجثته تمثيلا بشعا، ووقف رسول الله - عليه الصلاة والسلام - على ذلك المنظر المليء بالحزن، فأقسم ليقتلن مكانه سبعين من المشركين، فأنزل الله عليه قوله عز وجل: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عَوَقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَرَبْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ﴾^(٥)، فيبين سبحانه بهذه الآية أن العقوبة ينبغي أن تكون بالمثل مهما كان المقتول قريباً وحبيباً، ثم أتبع ذلك بالدعوة إلى الصبر، مبيناً أن الصبر خير من العقوبة، ولم يكتف سبحانه بذلك بل أتبعها قوله: ﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبَرْتُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَلُكْ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ﴾^(٦)، فانظروا - رحمة الله -

(١) سورة آل عمران / ١٣٤ .

(٢) سورة آل عمران / ١٣٦ .

(٣) سورة الشورى / ٣٧ .

(٤) سورة الشورى / ٤٣ .

(٥) سورة النحل / ١٢٦ .

(٦) سورة النحل / ١٢٧ .

كيف أنه تعالى لم يرض لنبيه ﷺ بالعقوبة في هذا الموقف، مع قدرته وتمكنه من عدوه، وأختار لنبيه الصبر والصفح والحلم، فما هي أخلاق بعد هذه الأخلاق؟ وأي مبادئ سامية بعد تلك الخصال النبيلة الرفيعة؟

فأنتوا الله - إخوة الإيمان -، وربوا النفوس على الحلم وكظم الغيظ، والزموا كلمة الحق في الغضب والرضا.

أقول قوليه هذا وأستغفر الله العظيم لى ولكم، فاستغفروه يغفر لكم إنه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجيب لكم إنه هو البر الكبير.

*** *** ***

الحمد لله الحليم العفو الكريم، يحب العفو والحلم والصفح الجميل، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، هو أهل التقوى وأهل المغفرة، ونشهد أن سيدنا محمدًا عبد الله ورسوله الرؤوف الرحيم، ساد الناس بحلمه وصفحه والخلق النبيل، وعلى الله وصحبه الحلماء الرحماء، وعلى من تبعهم بإحسان إلى يوم يقوم الناس لرب العالمين.

أما بعد، فيما عباد الله:

قد تتسبب بعض الخلافات بين الزوجين بسبب توافق الأمور، وعندما يفقد الزوجان الحلم، ويستولي عليهما الغضب، يركض بينهما الشيطان بخيله ورجله، فتسقط عيوب البيوت ناراً، ويتوّضى ببيان العلاقة الزوجية، وتتشتت الأسر، وبقليل من الحكمة والحلم تحل الأمور، فإذا بالغضب يتلاشى، وإذا بالخصام ينقلب إلى حب ووئام. كذلك المعلمون في حفل التدريس، قد يصاب بعضهم بالغضب بسبب سلوك سيء من أحد الطلبة، فإذا لم يتسلّح ذلك المعلم بالصبر والحلم عاد على طلابه بما يخرجونه عن توازنه، وقل مثل ذلك في أصحاب المؤسسات ومن تحت أيديهم من

المُوَظَّفِينَ، فَالْحَلْمُ هُوَ الَّذِي يُحْكِمُ زِمَامَ الْأُمُورِ كُلُّهَا، وَلَوْلَا ذَلِكَ لَانْفَلَتَ وَتَعَطَّلَ الإِنْتَاجُ، وَالْمُسْلِمُ أَحَقُّ مَنْ يَأْتِرُ بِالْحَلْمِ وَأَوْلَى، وَيُحَالِفُ الصَّبَرَ وَالصَّفْحَ، وَإِلَّا مَا حَقَّ الْغَايَةَ الْمَرْجُوَةَ مِنْ إِرْشَادِ النَّاسِ إِلَى بَرِّ الْأَمَانِ، فَالْحَلْمُ سَيِّدُ الْأَخْلَاقِ؛ يَأْسِرُ قُلُوبَهُمْ، وَيَهْدِي ضَالَّهُمْ، يَقُولُ جَلَّ ذِكْرُهُ: ﴿وَمَنْ أَحَسَنُ قَوْلًا مَمَّنْ دَعَآ إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَدِيقًا وَقَالَ إِنَّمَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وَلَا سَتُوْى الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ أَدْفَعَ بِالَّتِي هِيَ أَحَسَنُ فَإِذَا أَلَّذِي بَيْنَكُ وَبَيْنَهُ عَدَوَّهُ كَانَهُ وَلِيُّ حَمِيمٌ﴾^(١)، وَهَذِهِ الْمَنْزِلَةُ الرَّفِيعَةُ بَيْنَ تَعَالَى أَنَّهُ لَا يَنَالُهَا إِلَّا أَهْلُ الْمَقَامَاتِ الْعُلَى مِمَّنْ تَدَرَّعَ بِالصَّبَرِ وَالْحَلْمِ، وَلِذَلِكَ أَتَبَعَ ذَلِكَ قَوْلَهُ: ﴿وَمَا يُلْقَنَهَا إِلَّا أَلَّذِي صَبَرُوا وَمَا يُلْقَنَهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾^(٢)، إِنَّ تَجَارِبَ الْوَاقِعِ تُتَبَّثُ أَنَّ أَكْثَرَ الْمُشْكُلَاتِ تَتَشَبَّهُ بِسَبَبِ تَوَافِهِ الْأُمُورِ، وَمَا يَتَبَعُهَا مِنَ الغَضَبِ، فَيَنْفَخُ فِيهَا الشَّيْطَانُ، فَيُوَغْرِي الصُّدُورَ بَيْنَ الْأَحِبَّةِ وَالْإِخْوَةِ وَالْجِيرَانِ، فَتَتَحَوَّلُ مَحَبَّتُهُمْ إِلَى عَدَوَّةِ، وَصَلَّتُهُمْ إِلَى قَطْبِيَّةِ، وَتَظَلُّ بَعْضُ الْمُشْكُلَاتِ رَدَحًا مِنَ الدَّهْرِ تَسْتَحِيلُ عَلَى الْحَلِّ، وَلَوْ عُولِجَتْ فِي وَقْتِهَا بِشَيْءٍ مِنَ الْأَنَاءِ وَالْحَلْمِ وَالصَّفْحِ الْجَمِيلِ لَتَبَخَّرَتْ فَلَا يَبْقَى لَهَا أَثْرٌ.

فَاتَّقُوا اللَّهَ - عِبَادَ اللَّهِ -، وَلْنُحَالِفُ الْحَلْمَ وَالْأَنَاءَ وَالصَّفْحَ الْجَمِيلَ، فِيهَا تَصْفُو الْمَوَدَّاتُ، وَتَقْوِيُ الْعَالَقَاتُ، وَتَنْلَاشِي جَمِيعُ الْمُشْكُلَاتِ.

هَذَا وَصَلُوْا وَسَلَمُوا عَلَى إِمَامِ الْمُرْسَلِينَ، وَقَائِدِ الْغُرُّ الْمُحَاجِلِينَ، فَقَدْ أَمْرَكُمُ اللَّهُ تَعَالَى بِالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَيْهِ فِي مُحْكَمِ كِتَابِهِ حِيثُ قَالَ عَزَّ قَائِلاً عَلِيْمًا: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلِئِكَتَهُ يُصَلِّونَ عَلَى الَّتِي يَكِيدُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُوْا عَلَيْهِ وَسَلَمُوا نَسِيلِمًا﴾^(٣).

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ وَسَلَّمْتَ عَلَى سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ

(١) سورة فصلت / ٣٤-٣٣ .

(٢) سورة فصلت / ٣٥ .

(٣) سورة الأحزاب / ٥٦ .

عَلَى سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ، فِي الْعَالَمِينَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، وَارْضُ اللَّهُمَّ عَنْ خُلُقِهِ الرَّاشِدِينَ، وَعَنْ أَزْوَاجِهِ الْمُهَمَّاتِ الْمُؤْمِنِينَ، وَعَنْ سَائِرِ الصَّحَابَةِ الْجَمَعِينَ، وَعَنْ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، وَعَنَّا مَعْهُمْ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

اللَّهُمَّ اجْعَلْ جَمِيعًا هَذَا جَمِيعًا مَرْحُومًا، وَاجْعَلْ تَفَرُّقَنَا مِنْ بَعْدِهِ تَفَرُّقًا مَعْصُومًا، وَلَا تَدْعُ فِينَا وَلَا مَعَنَا شَقِيقًا وَلَا مَحْرُومًا. اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ الْهُدَى وَالنُّقْيَ وَالعَفَافَ وَالغُنَّى.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ أَنْ تَرْزُقَ كُلَّاً مِنَ لِسَانِنَا صَادِقًا ذَاكِرًا، وَقَلْبًا حَاسِبًا مُتَبَيِّنًا، وَعَمَلاً صَالِحًا زَاكِرًا، وَعِلْمًا نَافِعًا رَافِعًا، وَإِيمَانًا رَاسِخًا ثَابِتًا، وَيَقِينًا صَادِقًا خَالِصًا، وَرِزْقًا حَلَالًا طَيِّبًا وَاسِعًا، يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ.

اللَّهُمَّ أَعْزِ الْإِسْلَامَ وَالْمُسْلِمِينَ، وَوَحْدَ اللَّهُمَّ صُفُوقُهُمْ، وَأَجْمَعْ كَلْمَتَهُمْ عَلَى الْحَقِّ، وَأَكْسِرْ شُوَكَةَ الظَّالِمِينَ، وَأَكْتُبِ السَّلَامَ وَالْأَمْنَ لِعِبَادِكَ أَجْمَعِينَ.

اللَّهُمَّ رَبَّنَا احْفَظْ أَوْطَانَنَا وَأَعْزِ سُلْطَانَنَا وَأَيْدِهِ بِالْحَقِّ وَأَيْدِيهِ بِالْحَقِّ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ.

اللَّهُمَّ رَبَّنَا اسْقِنَا مِنْ فَيْضِكَ الْمِدْرَارِ، وَاجْعَلْنَا مِنَ الْذَّاكِرِينَ لَكَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، الْمُسْتَغْفِرِينَ لَكَ بِالْعُشَّى وَالْأَسْحَارِ.

اللَّهُمَّ أَنْزَلْ عَلَيْنَا مِنْ بَرَكَاتِ السَّمَاءِ وَأَخْرِجْ لَنَا مِنْ خَيْرَاتِ الْأَرْضِ، وَبَارِكْ لَنَا فِي ثِمَارِنَا وَزُرُوْعِنَا وَكُلْ أَرْزَاقِنَا يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ.

رَبَّنَا آتَنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَفِنَا عَذَابُ النَّارِ.

رَبَّنَا لَا تُرِغِ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْنَا، وَهَبْ لَنَا مِنْ لَذْنَكَ رَحْمَةً، إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَابُ.

رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ.

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ، وَالْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ، الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْأَمْوَاتِ، إِنَّكَ سَمِيعٌ قَرِيبٌ مُجِيبُ الدُّعَاءِ.

عِبَادَ اللهِ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَةِ وَيَنْهَا عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعْظِلُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾.

